سأُخلدُ ذِكراك

ذابت قطعة السكر

٢٠٢٥

برنيس مريم

جميع الحقوق محفوظة ©

لا يُسمح بنسخ أو نشر أو طباعة هذا العمل أو أي جزء منه بأي وسيلة كانت، إلكترونية أو ورقية أو سمعية، بدون إذن خطي من الكاتبة.

هذا العمل محمي بموجب قوانين حماية حقوق المؤلف والحقوق المجاورة.

‘‘سأخلِّد ذِكراك’’ هو عمل أدبي شخصي يحمل بين سطوره ذاكرةً إنسانية مقدّسة، كُتب بروح من فقدت، وبقلبٍ لا يزال ينبض باسمها.

"في حال رغبتَ بدعمي أو طباعته لاحقًا، لا تتردد بمراسلتي..."

الكاتبة: برنيس. م

للتواصل: bernismeriem0@gmail.com

سنة الإصدار: 2025

سأُخلد ذِكراك

برنيس مريم ٢٠٢٥

هذا الكتاب ليس مجرد مخطوطة ورق، بل كتاب يحمل ذكرى لا تموت، صفحات تستطيع شم فيها رائحة الأمهات.

تمهيد

ستكونين مقدّمةَ كُلِّ فصلٍ أكتبه...

سَتحملينَ جميعَ العناوين، وتَسكنينَ في كُلِّ حرف.

ستَكونين ديوانَ الشِّعر، ومفاتيحَه...

ستَكونين حروفَ الرّفع، ومعاني الحياة.

ستَكونين في جَميعِ كِتاباتي...

سَأخطُّ اسمَكِ في كُلِّ كَلِمة،

أقسمُ لكِ أنني سَأُخَلِّدُ ذِكرَاكِ...

يا قِطعةَ السُّكَّر...

بوغرارة خضرة

التي ما زالت حيّة في قلبي.

مقدمة:

كَيْفَ نَبْدَأُ اسْتِرْسَالَ الكَلَامِ حِينَ نَنْوِي إِرْسَالَهُ إِلَى مَنْ لَا يُوفُونَ بِحَقِّهِمِ الكَلَام؟

وَكَيْفَ نَسْتَصِيغُ الحُرُوفَ وَالجُمَل؟ وَكَيْفَ نُرَتِّبُ الكَلِمَاتِ؟

كَيْفَ نُحَوِّلُ هَذِهِ الخُطُوطَ إِلَى صَفْحَةٍ تَنْتَشِيهَا الحَيَاة؟

يَوَدُّ الَّذِي بِلَا أُمٍّ لَوْ يَحْتَضِنُهَا... صَفْحَةٌ مَلِيئَةٌ بِأَرْوَاحِ الأُمَّهَات.

أَخْبِرُونِي... كَيْفَ نَبْدَأُ أَوَّلَ الكَلَامِ مِنْ دُونِهِنَّ لِأَوَّلِ مَرَّة؟

أَوَلَيْسَ هُنَّ مَنْ عَلَّمْنَا إِيَّاه؟

فَلْيُخْبِرْنِي أَحَدُكُمْ... مَا قَدْ تَكُونُ تِلْكَ الكَلِمَة؟

✧

ذَابَتْ قِطْعَةُ السُّكَر...

مَاذَا يَفْعَلُ الإِنسَانُ حِينَ يَشْتَاقُ إِلَى أُمِّهِ؟

يُغْلِقُ البَابَ، يُطْفِئُ الأَنْوَارَ، وَيَبْكِي بِهُدُوءٍ،

يُنَادِيهَا فِي قَلْبِهِ، وَيَعْلَمُ أَنَّهَا لَنْ تُجِيب...

أَوْ بِالأَحْرَى، لَا يَعْرِفُ حَتَّى كَيْفَ يَفْعَل.

✦ عِنْدَمَا نَسِيَتْنِي أُمِّي ✦

ذَبُلَتْ عَيْنَاهَا شَيْئًا فَشَيْئًا...

اسْتَلْقَيْتُ أَمَامَهَا، وَبَرِيقُ الِاخْتِفَاءِ يَمْلَأُ عَيْنَيْهَا.

كَانَتْ قَدْ نَسِيَتْنِي،

عِنْدَمَا تَمَّ ذِكْرُ اسْمِي لَهَا...

اغرورقت عَيْنَايَ بِالدُّمُوعِ،

وَلَكِنِّي أَشَحْتُ بِوَجْهِي نَاحِيَتَهَا مَرَّةً أُخْرَى،

كَيْ أَسْتَغِلَّ كُلَّ ثَانِيَةٍ فِي رُؤْيَتِهَا، فَقَطْ...

صَمْتٌ يُغَطِّي المكَان، وَوَقْتٌ يَذُوبُ بِلَا صَوْت...

اخْتَفَتِ السَّكِينَةُ،

وَاخْتَفَى الأَمَانُ،

اخْتَفَتِ الرَّاحَةُ،

وَاخْتَفَى الهُدُوءُ،

وَاخْتَفَى كُلُّ شَيْءٍ يَنْشُرُ النُّورَ...

عَالِقَةٌ فِي السَّوَادِ أَنَا،

مُنْذُ غِيَابِكِ...

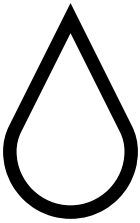

ليلة لم تمت

لا زلتُ أرى تلكَ الليلةَ في منامي...

لم تختفِ أحداثُها، ولا ذكرياتها، ولا همساتُها، ولا بكاؤها، ولا صمتُها، ولا انفجاراتُها، ولا انكساراتُها، ولا خيباتُها...

لا زلتُ أراها بكل وجعها،

ولا زلتُ أبيتُ في ذلك الحلم،

على أملٍ ألا أستيقظَ بعده،

على أملٍ: إمّا أن يكون... أو ألا أكون...

وكيف أكون ذاتًا لذاتي بعد فقدان ماما؟

كيف أُعيد روحي إليّ دون أن أبقى متسمّرة هكذا؟

أعاني الفقد دون أن أنسى،

أعاني من ضياع نفسي،

من غياب قلبٍ أشتهي ضمَّه دون فراق...

أجل،

ليلةٌ واحدةٌ كفيلةٌ بأن تُخضعني

لـ ليالٍ طويلةٍ في حضرة جلّادٍ يُسمّى: ذِكرى.

المنزل بعد رحيلك

كَأنني دخلتُ إلى جُحرٍ، به رائحةُ الموتِ تَلفّني...

صنعت غصّةً داخل حلقي، لم أستطع التحدث، ولم أستطع الهروب.

حاولتُ أن أُخفي معالم حزني المكهرب، معالمَ الأسى القاتم الذي حَضرني تلك اللحظة.

أمسكتُ نفسي، وحاولتُ أن أستكين، فأغمضتُها كي لا تفيض، فانفجر قلبي...

أعلم أن البُكاءَ هو الطريقة الوحيدة لمنع قلبي من الخروج،

لكنني لم أبكِ...

أمسكتُ تلك الشهقة، وروّضتُها كي لا تنحني،

وسلّمتُ قلبي.

الليلة الأولى مرّت على قلبي...

والثانية على روحي...

والثالثة فوق جسدي...

والرابعة لم تجدني...

أصبحتُ كضبابٍ يسير... بلا أيّ عِرق ينبض به.

وما زلتُ كلّما عدتُ،

أشعرُ أن البيتَ لا يعرفني...

وكأنّكِ كنتِ البوّابة الوحيدة لانتمائي إليه.

أَعِيدِينِي...

أَعِيدِينِي طِفْلَةً، أَيَّتُهَا الحَيَاةُ... أَعِيدِينِي.

أَعِيدِينِي صَغِيرَةً،

لَا أَفْقَهُ مِنْكِ شَيْئًا،

أَعِيدِينِي لِأَكُونَ لَهَا ثَانِيَةً...

صَغِيرَةً، مُطِيعَةً، جَمِيلَةً، ثَائِرَةً، بَاكِيَةً،

سَعِيدَةً، حَزِينَةً، كُلِّي رَغْبَةٌ فِي العِنَاقِ...

أَعِيدِينِي...

لِسَكْرَتِي، لِمَدِينَتِي، لِبَيْتِي، لِمَدْرَسَتِي،

أَعِيدِينِي لِكُلِّ شَيْءٍ كَانَ يَنْبِضُ قَلْبُهُ.

أَعِيدِينِي لَهَا...

لِحِضْنِ أُمِّي، لِسِرِّ أُمِّي، لِبَيْتِ أُمِّي، لِسَرِيرِ أُمِّي...

أَعِيدِينِي طِفْلَةً صَغِيرَةً،

أَسْكُنُ فِي بَيْتٍ مِنْ لُعْبَةٍ،

أَبْنِيهِ كَيْفَمَا أَشَاء...

أَعِيدِينِي زَهْرَةً لَا تَذْبُل،

وَنُورًا لَا يَنْطَفِئ،

وَأَمَلًا لَا يَطْفُو.

أَعِيدِينِي...

وَأَعِيدِي لِي حَيَاةً... لِحَيَاتِي.

أَعِيدِي حُلْمًا ضَاعَ بِالأَمْسِ،

أَرْتَشِفُ مِنْهُ عِطْرًا لِسِنِينَ طَوِيلَةٍ،

أُبْقِيهِ فِي ذَاكِرَتِي...

أَعِيدِينِي لَهَا... أَعِيدِينِي.

على مائدة ذكرى

أتظنّين أنّني بِخير؟

كلا وربِّ الكعبة!

أأُداري غيابَكِ عن مُقلَتَيَّ،

أم عن صَدري،

أم عن روحي،

أم عن قلبي ودقّاته؟

أتظنّين أنّني بِخير؟

كلا وما أُنزِل على محمدٍ،

إنّني وبما بلغَت السماءُ

لا أعرفُ كيف أكون بخيرٍ دونَكِ.

أخطو عَتَباتِ الشوق،

فتجُرّني بحذافيرِها،

أن أبقى أَحبُو كي أتخطّى،

ولكن... ما التخطّي من عَتَباتِ الاشتياق؟

كيف نتخطى ما هو أساسًا غُرِسَ داخل أجسادنا؟

ننتظرُ الشفاء منه،

ولكن... يأسٌ يليه

بعد فقدان أمل في أن نتخطى.

ذِكرى صريحة

تُخبرنا بأننا على موعدٍ دائم...

على مائدتها.

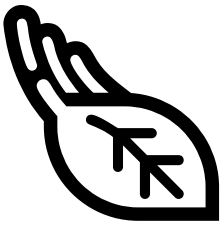

حَسَنًا... لَقَدْ مَضَى مِنَ الوَقْتِ سَبْعُونَ عَامًا،

أَلَنْ تَعُودِي؟

بيتك يشتاق لك

أخبرني أحدُ البيوتِ أنّهُ يشتاقُ لملامحِ شخصٍ كانت تسكنه...

لضجيجِه، لعِتابِه، لسردِ خطواتِه، لضحكاتِه...

أخبرني أنّه أصبحَ مُهترئَ الجدران،

لأنّهُ اعتاد أن يتمّ ترميمهُ بواسطتِها فقط...

أخبرني أنّهُ ينتمي لأُناسِه الأوّلين،

أخبرني أنّه لم يعتدْ وجوهًا جديدةً تُقلِبُ أواصرَه...

أخبرني أنّه بحاجةٍ لشخصٍ كان يُبكيهِ،

وأخبرني أنّ القدرَ شدَّ جذورَه ودفنها معه...

أخبرني ذلكَ البيتُ أنّه لن يكونَ آمِنًا دون فوضاها.

وَأَخْبَرَنِي...

وأخبرني أنّ حتى هدوءها كان صاخبًا،

كأنّهُ يضيفُ للبيتِ حَسيسها،

كان يتماطَلُ في سماعِ صوتها،

لا يأذنُ لأحدٍ بأن يتكلَّم الآن،

كي لا يترنّحَ أو يترحزحَ صوتُها المحفورُ داخله...

داخل بيتٍ،

لم يعد كذلك.

صفحاتٌ مثقلة برنينِ فُراق...

كَتبتُ على أوراقي اسمًا،

خَطَطتُه بحبرٍ أحمَر،

يشبهُ ذاكرتي الدامية بعد الفُراق...

حتّى إن قرأتَها،

تحتضنُك لا شفقةً... ولا رحمة،

بل أملًا أن تُشبِعَ فؤادًا

يستفرغُ الفُراق بمَطلَعِ رُوحٍ...

يُثيرُ هلعَ الصّفحات

من أن تصدرَ تلك الروح شخيرَها الأخير،

فتنضُب،

مُحتضِنةً أو بالأحرى مُتلبِّسةً

جسدًا أضحى بلا رُوح...

لعلّها تُحيي فيه شيئًا ساكنًا...

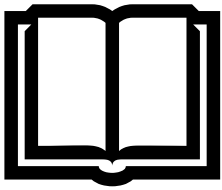

ساحةُ الندم

الحقيقة أنَّ الندمَ يقضمُ جوانبَ قلبي كلَّ لحظة،

ينهشُ قطعةً منه...

حين أفكّر في أنّه قد سُلبتْ منّي فرصةُ رؤيتكِ في آخر لحظاتك،

سلبتْ منّي الحياةُ توديعكِ،

رؤية ملامحكِ للمرّة الأخيرة،

نُطقُ اسمكِ لمرّة أخيرة،

أو حتى النظر إليكِ...

الندمُ هنا لا ينهشُ جسدي...

بل يسلخُ روحي.

قد أبدو ناجيةً...

لكنني غارقةٌ في عُمقِ الندم.

نَدمٌ يشوّهُ معالم سعادتي،

يرضخني دائمًا نحو الاستسلامِ الفاقعِ،

الذي يُحيطني داخل متاهته...

متاهةٌ لا يوجدُ بها مفتاح،

وكلّ أبوابها تُشيرُ إلى "ساحةِ الغثيان"،

حيث نتقيّأُ الندم...

على شكل تمزقاتِ قلبٍ.

حانَ الليلُ...

لَمْ تَتْرُكِي لِي شَيْئًا لَيْلَةَ الوَدَاعِ،

سِوَى أَلَمٍ، سِوَى ذِكْرَى،

سِوَى قَلْبٍ مَا عَادَ يَعرَفُ،

كَيْفَ يَعِيشُ بدونك؟

ها هو خيالك يُناظرني،

يُجالسني أمام مكتبي...

مبعثرٌ ببعض الأوراق،

شمعةٌ... وحبرٌ جاف،

وأناملُ رثّة

لم أعد أجدُ ما أكتبه عنك.

اختنقت الكلمات،

وانتزعت منها روحُها.

بقيت أشياء...أهديها لك بدل الكتابة:

قلبٌ مشتاق، وعينان خاضعتان،

ويدانِ ترتجفان...

وبعضُ الحروف

التي بقيت متماسكة:

أ.ن.ا. م.ش.ت.ا.ق.ة. ل.ر.و.ح.ك...

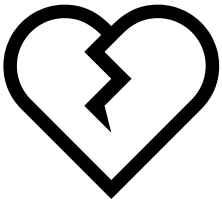

ما بَقِيَ مِنِّي مِنْ دَمٍ غَرِقْتُ بِهِ.

قرب الأجل

بلغتني رسائلُ قُرب الأجل منذ رحيلك...

استُنزِفت بقايا الحياة من جسدي،

وأضحت ملامحي تشبه ملامح من يكسوه الوهن،

لبستْ عيناي وشاحَ الغروب...

كنتُ أتمنّى وقتًا أطول،

ولكن، ما الحياةُ بعد فقدان من نُحب؟

من أقنع أنفسنا بأننا نستطيع العيش وهم معنا؟

وإن غابوا، فمرحبًا بصداعِ خروجِ الروح.

دُقُّوا الأَبْوَابَ عَلَى أَحِبَّتِكُمْ،

احْرِقُوا الجُدْرَانَ، وَاكْسِرُوا الحُدُود،

رَمِّمُوا مَا يُوجَدُ خَلْفَ الجِدَارِ،

فَأَحَدُنَا قَدْ يَكُونُ فِي الجِهَةِ الأُخْرَى يُنَادِي...

يشبهك أغسطس

يُشبهُك أغسطس...

لا أدري ما الّذي يُميّزه،

ولكنّه يُشبهك، وفقط.

وتُشبهك الأيادي الحانية، لا أدري لماذا، لكنها تُشبهك أيضًا...

وتُشبهك النجوم، والقمر، والسماء، يُشبهُك وليلها الطويل...

لا أدري لماذا، لكنها تُشبهك هي الأخرى...

تُشبهك كلّ الأشياء التي قيل عنها إنها مميّزة،

لا أدري أيضًا،

لكنّ كلّ ما أعرفه... أنّها تُشبهك.

وتُشبهين كل رسائل الغزل التي لم تصل،

فبقيت محفورة، تضمّها أواصر نسمةٍ جميلة

نجمةٌ مفقودة

فُقِدتْ نجمةٌ ذاتَ لَيلةٍ من عرشِ السَّماء..

جالَ القمرُ والغيمُ والكواكبُ باحثين عنها، ساهرين، عاكفين حتى يجدوها..

لكنّ صباحَ ذلكَ اليومِ لم يأتِ، ولم تُضاء شمسُهُ...

حالُهم يُؤسفُني،

ولكن، كيف أُخبِرُهم أنها سقطت في عينيك؟

كيف أُنازعُهم فيك؟

وكيف أقول إنّ تلكَ النّجمة أصبحت "خاصّتي"؟

وكيف أُعيدكِ إلى السّماء، يا فقيدةَ النّجوم؟

سوف تبقينَ ملكةَ عرشي،

وتبقينَ في سماءِ الخلودِ التي في قلبي.

ستبقين نجمةً متألّقة،

تُضيءُ ليلي ونهاري.

ستبقين نَصًّا من روايةٍ مخطوطةٍ بالغزل،

أوراقها مُصفَّفة برائحتك،

وجدارها مبصوم بالنجوم...

روايةٌ لا خاتمةَ فيها...

حيث لا اكتمالَ لوصفك.

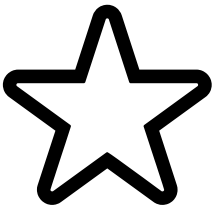

ذَابَتْ قِطْعَةُ السُّكَّر...

تِلكَ الخُطوطُ السَّاكِنَة،

مَلامِحُ وَجهِكِ،

لَيسَتْ سِوى تَضارِيسَ مَحفُورَةٍ مِن سَجى الأيَّام،

قَدْ حَطَّتْ بِخُطُواتِها،

تَحتَضِنُ وَجهَكِ،

تَحسِدُ مَلامِحَكِ الجَمِيلَة،

فَتَسكُنُكِ،

لَعَلَّهَا تُزِيحُ بَعضَ الجَمَالِ... وَهَلْ يُزَاح؟

بَلْ تَأَلَّقْتِ،

بِتِلكَ التَّجَاعِيدِ، مَامَا،

فَأَضْحَتْ مَرَاسِمَ كَونِكِ سُكَّرَةً...

سُكَّرَةً أَصَابَهَا وَابِلُ قَهوَةٍ فَذَابَتْ...

ذَابَتْ قِطْعَةُ السُّكَّر...

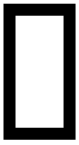

أعزفك

أُعزفُ ترانيمَ فُراقك،

وأُنشدُ بها بعيدًا...

حَتّى فُراقك، كانَ له نغمةٌ هادئة،

تجعلني فوقَ السحاب،

وكأنني أُعزفُ السّماء...

وأبوحُ لها،

بكميةِ اشتياقٍ مُنسابةٍ تحتها،

وأبوحُ بصوتٍ مُنكسِر،

يشبهُ لحنًا قديمًا تمّ نسيانُه...

مرّت ليالٍ،

لم أكن أأبه بها،

لأنني أعلمُ وإن مرّت مثلها ليالٍ بسنواتٍ عديدة

لن أتوقّف عن عزفك...

عن كتابتك...

عن تنشيد لحنِ هتافاتِك،

باسمي الذي أصبحَ الآنَ

كصوفٍ تناثر،

دون أن أَغزلَ منه شيئًا...

الخاتمة

يغمرني هدوءٌ

كَأَنَّنِي أَتَجَهَّزُ لِشَيْءٍ مَا...

أُتَرَقَّبُهُ مِنْ بَعِيد، وَهُوَ يَقْتَرِبُ أَكْثَر كُلَّ يَوْم.

أَظُنُّ أَنَّنَا سَنَلْتَقِي... يَا قِطْعَةَ السُّكَّرِ.

الْكِتَابُ لَيْسَ مَكْتُوبًا بِالكَامِل...

فَهُنَاكَ جُزْءٌ مَخْفِيٌّ مِنْهَا،

لَمْ أَسْتَطِعْ إِيْجَادَ مُرَادِفَاتِهِ بِدِقَّةٍ،

فَتَرَكْتُهُ فِي قَلْبِي، أَقْرَؤُهُ وَحْدِي...

وهذا لا يعني أنّني تناسيت،

أو أنّ الفؤاد عرقل دمعي،

وجال يخُضُّ أحزانه بمفرده...

أبداً،

لَمْ أَمْحُ أَحْزَانِي،

بَلْ عَزَفْتُهَا عَلَى وَتَرٍ لَا يُبْتَر...

وَوَضَعْتُهَا داخلَ كِتَابٍ يُسْمَعُ أَنِينُهُ...

تحياتي: برنيس مريم

ترحموا على بوغرارة خضرة